

حُطْبَةُ الْجُمُعَةِ الْفَائِمَةُ: ((الْقَلْقُ سُمُّ قَاتِلِ عِبَادِ اللَّهِ)) د. محمد حرز

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الطَّمَانِينَةَ وَالْأَسْتِغْرَارَ النَّفْسِيَّ ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرَاتِ ذِكْرِهِ وَطَاعَتِهِ، وَجَعَلَ الْوَسَاوِسَ وَالْقَلْقَ وَالْاضْطِرَابَ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِهِ وَخَادَ عَنِ دَرْيِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَخَبِيبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، عَاشَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، (صلى الله عليه وسلم) وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَتَابِعِيهِمْ دَائِمًا أَبَدًا.

أَمَّا بَعْدُ فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي أَيُّهَا الْأَخْيَارُ بِتَقْوَى الْعَزِيزِ الْعَفَّارِ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢)

عِبَادَ اللَّهِ: ((الْقَلْقُ سُمُّ قَاتِلِ عِبَادِ اللَّهِ)) عُنْوَانُ حُطْبَتِنَا.

عَنَاصِرُ الْإِقَاءِ:

❖ **أَوَّلًا: الْقَلْقُ، وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَلْقُ؟**

❖ **ثَانِيًا: عِلَاجُ الْقَلْقِ!!!**

❖ **ثَالِثًا وَأَخِيرًا: دَعِ الْقَلْقَ وَلِيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ!!**

أَيُّهَا السَّادَةُ: بَدَايَةٌ، مَا أَحْوَجَنَا فِي هَذِهِ الدَّقَائِقِ الْمَعْدُودَةِ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُنَا عَنِ الْقَلْقِ سُمُّ قَاتِلٍ، خَاصَّةً وَنَحْنُ نَعِيشُ زَمَانًا زَادَتْ فِيهِ حِدَّةُ الْقَلْقِ بِصُورَةٍ مُفْرَعَةٍ، خَاصَّةً فِي ظِلِّ الْأَزْمَاتِ وَالنَّكَبَاتِ وَالْحُرُوبِ وَالْعَلَاءِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا الْعَالَمُ الْيَوْمَ؛ يَعْيشُ النَّاسُ حَالَةً مِنَ الْقَلْقِ وَالْهَلَعِ وَالْخَوْفِ، قَلِقُونَ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ وَعِيَالِهِمْ وَمُسْتَقْبَلِهِمْ، وَخَاصَّةً وَتَفِيدُ بَعْضُ الدِّرَاسَاتِ أَنَّ مَرَضَ الْقَلْقِ هُوَ أَكْثَرُ الْأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ الشَّائِعَةِ فِي بُلْدَانِ الْعَالَمِ، حَيْثُ إِنَّهُ يُصِيبُ شَخْصًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ تِسْعَةِ أَشْخَاصٍ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ مَخَافَةِ تَنْتَابِ الْإِنْسَانِ مِنْ أَشْيَاءَ مَجْهُولَةٍ، يَتَوَقَّعُ حُصُولَهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، تَجْعَلُهُ يَعْيشُ تَحْتَ تَأْثِيرِ أَفْكَارٍ مُفْلِقَةٍ وَوَسَاوِسٍ قَهْرِيَّةٍ لَا يَسْتَطِيعُ عَنْهَا انْفِكَارًا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَخَاصَّةً عَصْرُنَا الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ عَصْرُ الْاضْطِرَابِ وَالْقَلْقِ النَّفْسِيِّ، لَا عَصْرَ الرَّاحَةِ وَالْإِطْمِئْنَانِ، الْكُلُّ فِي اضْطِرَابٍ إِلَّا مَنْ رَجَمَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، الْحَاكِمِ وَالْمَحْكُومِ فِي اضْطِرَابٍ، الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي اضْطِرَابٍ، السَّلِيمُ وَالْمَرِيضُ فِي اضْطِرَابٍ، الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ فِي اضْطِرَابٍ. مُجْتَمَعٌ سَادَ فِيهِ الْاضْطِرَابُ وَالْقَلْقُ وَالْفَوْضَى، لَا يَعْرِفُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ مَاذَا يُرِيدُ، تَرَاهُ شَارِدَ الْفِكْرِ وَالْبَالِ، يُرِيدُ الرَّاحَةَ وَلَا يَجِدُهَا،

يُرِيدُ الْإِظْمِئِنَانَ وَلَا يَجِدُهُ، يُرِيدُ السَّكْنَ وَلَا يَجِدُهُ، بَحَثَ عَنْ ذَلِكَ فِي الْمَالِ فَلَمْ يَجِدْهُ، بَحَثَ عَنْهُ فِي الْجَاهِ فَلَمْ يَجِدْهُ، بَحَثَ عَنْهُ فِي الْعَلَاقَاتِ مَعَ الْجِنْسِ الْآخَرَ فَلَمْ يَجِدْهُ، بَحَثَ عَنْهُ فِي الْغِنَاءِ وَالطَّرَبِ وَاللَّيَالِي الْحَمْرَاءِ فَلَمْ يَجِدْهُ، بَحَثَ عَنْهُ فِي شَرْبِ الْمُسْكِرَاتِ وَالْمُخَدَّرَاتِ فَلَمْ يَجِدْهُ. مَسَاكِينُ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ، انْقَلَبَتْ عِنْدَهُمُ الْمَعَايِيرُ، وَاضْطَرَبَتْ لَدَيْهِمُ الْمَقَايِيسُ، وَذَهَبَتْ الْفَضَائِلُ، وَضَاعَتِ الْقِيَمُ.

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ *** أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى الرُّوحِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا *** فَأَنْتَ بِالرُّوحِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
❖ **أَوَّلًا: الْقَلْقُ، وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَلْقُ؟**

أَيُّهَا السَّادَةُ الْأَخْيَارُ: اَعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْخَالِقَ جَلَّ فِي عُلَاهُ أَرَادَ أَنْ يَعِيشَ الْإِنْسَانُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ عَيْشَةً الْآمِنِ الْمُطْمَئِنِّ، لِيَعْمُرَ هَذِهِ الْحَيَاةَ بِاسْتِقَامَةٍ وَسَعَادَةٍ وَنِظَامٍ، بَعِيدًا عَنِ جَمِيعِ أَشْكَالِ الْقَلْقِ وَالْوَسَاوِسِ وَالِاضْطِرَابِ، الَّتِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَسِيرَ مَعَهَا الْحَيَاةُ سَيْرَهَا الطَّبِيعِيِّ، وَإِنَّمَا تَتَحَوَّلُ بِهَا إِلَى جَحِيمٍ لَا يُطَاقُ، وَلِذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا الْفَرْقَ بَيْنَ الْحَيَاتَيْنِ، حَيَاةِ الْأَمْنِ وَالِإِظْمِئِنَانَ، وَحَيَاةِ الْقَلْقِ وَالْخَوْفِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (النحل - ١٢)، فَمَرَّادُ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ أَنْ يَعِيشُوا عَيْشَةَ الشُّكْرِ وَالْإِيمَانِ لِتَسْتَقِيمَ لَهُمُ الْحَيَاةُ، لَا عَيْشَةَ الْكُفْرِ وَالنُّكْرَانِ الَّتِي تُورِثُ الْقَلْقَ وَالْخُسْرَانَ، وَالنُّوْمَ وَرَاحَةَ الْبَالِ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ قِيَمَتَهَا إِلَّا إِذَا فَقَدُوهَا، فَإِذَا أَصَابَتْهُمْ الْأَرْقُ وَدَبَّ فِيهِمُ الْقَلْقُ، عَرَفُوا مَعْنَى تِلْكَ النِّعْمَةِ. وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ (الرُّوم: ٢٣)، قَالَ اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ فِي هَذَا الْمَنَامِ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا لَنَا. **وَأَهْمُ مَصَادِرِ الْقَلْقِ أَرْبَعَةٌ:** الْخَوْفُ عَلَى الْحَيَاةِ، وَالْخَوْفُ عَلَى الرِّزْقِ، وَالْخَوْفُ مِنْ حُصُولِ الْمَكْرُوهِ، أَوْ قَوَاتِ شَيْءٍ مَحْبُوبٍ.

الْقَلْقُ، وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَلْقُ؟ نَعِيشُ فِي زَمَنٍ تَغَيَّرَتْ فِيهِ الْحَيَاةُ، فَانْفَتَحَ الْعَالَمُ فِيهِ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَزَادَتْ فِيهِ الْمَسْئُورِيَّاتُ الْمُلْقَاةُ عَلَى غَائِقِ الْقُرْدِ، وَتَكَاثَرَتْ عَلَيْهِ مُتَطَلِّبَاتُ الْحَيَاةِ، فَازْدَادَ تَفْكِيرُ الْإِنْسَانِ وَقَلْفُهُ، كَمَا تَعَاظَمَ خَوْفُهُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ، مِمَّا جَعَلَ كَثِيرًا

مِنَ النَّاسِ يَتَّعُونَ يَسْتَبِ ذَلِكَ تَحْتَ تَأْثِيرِ أَلْوَانِ مِنَ الْقَلْقِ وَالْوَسَاوِسِ وَالْاضْطِرَابِ النَّفْسِيِّ، فَالْقَلْقُ دَاءٌ اجْتِمَاعِيٌّ خَطِيرٌ، وَوَبَاءٌ خُلِقِيٌّ كَبِيرٌ، مَا فَشَا فِي أُمَّةٍ إِلَّا كَانَ نَذِيرًا لِهَلَاكِهَا، وَمَا دَبَّ فِي أُسْرَةٍ إِلَّا كَانَ سَبَبًا لِفَنَائِهَا، فَهُوَ مَصْدَرٌ لِكُلِّ عَدَاءٍ، وَيَتَّبَعُ كُلَّ شَرٍّ وَتَعَاسَةٍ، وَالْقَلْقُ آفَةٌ مِنْ آفَاتِ الْإِنْسَانِ، مَدْخَلٌ كَبِيرٌ لِلشَّيْطَانِ، مُدْمِرٌ لِلْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ، يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالْإِخْوَةِ، يَحْرُمُ صَاحِبَهُ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ، وَيُدْخِلُهُ النَّيْرَانَ، وَيُبْعِدُهُ عَنِ الْجَنَانِ، فَالْبُعْدُ عَنْهُ خَيْرٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

الْقَلْقُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَلْقُ؟ القلقُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ حَالَةٌ نَفْسِيَّةٌ تُسَيِّطِرُ عَلَى الْإِنْسَانِ عِنْدَمَا يَتَغَلَّبُ الْخَوْفُ عَلَى أَفْكَارِهِ وَيُؤَثِّرُ فِي حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ، خَاصَّةً عِنْدَمَا تُصِيحُ هَذِهِ الْمَخَافَةُ مُبَالِغًا فِيهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَفْطُورٌ عَلَى الْخَوْفِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) [المعارج: ١٩ - ٢١]، وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ فِي آيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ خَوْفَ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ خَوْفُ مُوسَى وَهَارُونَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - مِنْ مُوَاجَهَةِ فِرْعَوْنَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعَى) [طه: ٤٥]، وَجَاءَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخَافُ مِنْ قَتْلِ فِرْعَوْنَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) [الشعراء: ١٤].

وَكَيْفَ لَا؟ وَلَقَدْ كَانَتْ تَوْجِيهَاتُ الْإِسْلَامِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعِيشَ يَوْمَهُ، وَيَقُومَ بِمَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبَاتٍ وَتَكْلِيفٍ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حُيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»؛ [رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم: ٣٠٠]، وَالْمَعْنَى: فَكَأَنَّمَا أُعْطِيَ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا؛ [تحفة الأحوذى (7/11)].

سُئِلَ حَاتِمُ الْأَصَمِّ: «عَلَّامٌ بَتَيْتِ أَمْرِكَ؟» أَي: كَيْفَ بَتَيْتِ حَيَاتِكَ وَمَا سَبَبُ سَعَادَتِكَ وَاطْمِئْنَانِكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَا يَأْكُلُهُ غَيْرِي فَاطْمَأْنَنْتُ بِهِ نَفْسِي، وَعَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لَا يَقُومُ بِهِ غَيْرِي فَأَنَا مَشْغُولٌ بِهِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِينِي بَغْتَةً فَأَنَا أَبَادِرُهُ، وَعَلِمْتُ أَيُّي لَا أَخْلُو مِنْ عَيْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ كُنْتُ، فَأَنَا أَسْتَجِي مِنْهُ.»

وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ: «يَا بَنَ آدَمَ، لَا تُحْمَلْ يَوْمَكَ هَمٌّ سَنَةً قَادِمَةً.»

الْقَلْقُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَلْقُ؟ لَقَدْ اعْتَنَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِهَذِهِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ غَايَةَ الْعِنَايَةِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَحَلُّ التَّكْلِيفِ، وَالْمَقْصُودُ

بِالْهُدَايَةِ وَالتَّوَجِيهِ وَالْإِصْلَاحِ، وَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَعَمَرَ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ أَطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ، وَهَدَّاتُ سَرِيرَتُهُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالرِّضَا؛ قَالَ تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِيَهَيِّجَ جُنُودَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [الفتح: ٤].

وَالْقَلْقُ وَالْأَرْقُ وَالْهَلَعُ عِبَادَ اللَّهِ، تَوْعَانُ: قَلْقٌ مَحْمُودٌ وَقَلْقٌ مُذْمُومٌ **وَالْقَلْقُ مَحْمُودٌ:** وَهُوَ مَا يَكُونُ مِنْ أَجْلِ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ، وَخَشْيَةِ التَّفْصِيرِ فِي حَقِّ اللَّهِ أَوْ حَقِّ الْعِبَادِ، أَوْ مِنْ أَجْلِ آدَاءِ الْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْوَالِدِ. فَهَذَا الْقَلْقُ يُسَمَّى قَلْقًا مَحْمُودًا لِأَنَّهُ مِنْ صِمِيمِ الْإِيمَانِ، وَيُخَفِّزُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَالْمُحَاسَبَةِ الدَّائِيَّةِ. فَيَأْرَقُ الْإِنْسَانُ أَوْ يَفْلِقُ خَشْيَةً أَنْ يَخْلَّ بِوَاجِبٍ، فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا فَتَخَطَى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ!! فَقَالَ: ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرِ عِنْدَنَا فَكْرَهْتُ أَنْ يَحْبَسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ)) هَذَا حَقُّ اللَّهِ، وَقَدْ يَفْلِقُ الْمُسْلِمُ خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ وَقَعَ فِي أَمْرٍ لَا يَجُوزُ لَهُ، فَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَمْرُو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ تَحْتَ جَنْبِهِ تَمْرَةً فَأَكَلَهَا فَلَمْ يَتَمَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَقَالَ بَعْضُ نِسَائِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَقْتِ الْبَارِحَةَ؟ قَالَ: إِيَّيْ وَجَدْتُ تَحْتَ جَنْبِي تَمْرَةً وَكَانَ عِنْدَنَا تَمْرٌ مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ مِنْهُ. هَذَا الْقَلْقُ الشَّرْعِيُّ الْمَحْمُودُ الَّذِي يَغْتَلِي الْمُؤْمِنَ أَحْيَانًا، وَكَذَلِكَ قَلْقٌ مِنْ تَأْنِيْبِ ضَمِيرٍ لِتَفْصِيرِ فِي حَقِّ اللَّهِ أَوْ حَقِّ عِبَادِهِ، وَهَذِهِ الرَّوْجَةُ الْبَارَّةُ تَقُولُ لِرُؤُوجِهَا: وَاللَّهِ لَا أَدُوقُ عَمَضًا حَتَّى تَرْضَى.

وَقَدْ تَخَوَّفَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (لَا تَرْفَعُوا أَسْوَآتِكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) [الحجرات: ٢]، فَقَالَ: أَتَخَوَّفُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيَّ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا. فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا وَتُقْتَلَ شَهِيدًا وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ)) هُوَ لِأَيِّ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ. وَاللَّا مُبَالَاةً أَحْيَانًا تَكُونُ مِنْ صِفَةِ الْمُتَأَفِّقِينَ، وَالْمُحَاسَبَةِ وَالْقَلْقُ خَشْيَةُ التَّفْصِيرِ فِي حَقِّ اللَّهِ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ جَل وَعَلَا((وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ (المؤمنون: ٦٠) قَالَ

الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْمُؤْمِنُ أَحْسَنُ النَّاسِ عَمَلًا وَأَشَدُّ النَّاسِ خَوْفًا؛
 فَالْمُؤْمِنُ لَا يَزِدَادُ صَلَاحًا وَبِرًّا وَعِبَادَةً إِلَّا اِزْدَادَ خَوْفًا." وَالْمُتَأَفِّقُ يَقُولُ:
 "سَوَادُ النَّاسِ كَثِيرٌ وَسَيَغْفِرُ لِي، وَلَا بَأْسَ عَلَيَّ"، وَيُسِيءُ الْعَمَلَ
 وَيَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَي الْأَمَانِيِّ. لَذَا يَنْبَغِي لِمَنْ لَمْ يَشْفَقْ أَنْ
 يَخَافَ أَنْ لَا يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا: (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا
 مُشْفِقِينَ) [الطور: ٢٦]. فَهَمُّ الْمُؤْمِنِ دَائِمًا مَرْضَاةَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ
 يَخْشَى: (اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) [الحج: ١]. يُوَاصِلُ
 عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَهُوَ يَخْشَى: (إِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا
 يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ
 النَّارِ) فَيَدْخُلُهَا. وَلِذَا فَهُوَ يُرَاقِبُ الْمَصِيرَ، وَيَرْجُو حُسْنَ الْخَاتِمَةِ،
 وَيُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ. وَقَدْ يُصِيبُ الدَّاعِيَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْقَلْقِ، تَتَبَّجَّةً
 صُدُودِ النَّاسِ، فَلَعَلَّكَ: (بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ) [الكهف: ٨]، أَي:
 مَهْلِكٌ نَفْسِكَ حُزْنًا عَلَيْهِمْ، فَلَا تَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ (فاطر: ٨).
 وَحَتَّى مَشَاعِرُ الْأَبُوتَةِ تَكُونُ مُتَأَثِّرَةً بِمَا يُصِيبُ الْأَوْلَادَ، قَالَ ﷺ: (إِنَّمَا
 ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي، يَرِيئُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِنُنِي مَا آذَاهَا). وَلِذَلِكَ فَإِنَّ
 الْإِهْتِمَامَ بِأَمْرِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَكِنَّ الزِّيَادَةَ فِي الْقَلْقِ يُخْشَى عَلَى
 ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلِيَخْشَى الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضَعْفًا خَافُوا
 عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (النساء: ٩).

الْخَوْفُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ، هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادُ صِغَارٌ، أَبُوهُمْ شَيْخٌ كَبِيرٌ، هَلْ
 سَيَأْكُلُ أَحَدُهُمْ حَقَّهُمْ مِنْ بَعْدِهِ؟ كَيْفَ سَيَعِيشُونَ؟

وَالْقَلْقُ عَلَى الدِّينِ دُخُولًا غَارًا لَا يُسْكِنُهُ لَابِثٌ، فَاسْتَوْحَشَ الصَّدِيقُ
 مِنْ خَوْفِ الْخَوَادِثِ، [وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ
 قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا] فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: "مَا ظَنُّكَ بِأَتْنَيْنِ، اللَّهُ تَالِيَهُمَا!" فَهَذَا
 فِي الْحَقِيقَةِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَكَذَلِكَ الْقَلْقُ بِشَأْنِ الرَّعِيَّةِ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ: "لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ
 الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجُنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا." هَذَا مِنْ أَجْلِ مَصْلَحَةِ
 الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا يَنْزِلُ الْإِيمَانُ وَتَنْزِلُ الطَّمَانِينَةُ وَالسَّكِينَةُ مِنَ اللَّهِ
 عَلَى مِثْلِ أَوْلِيكَ، وَلِذَلِكَ صَارَ النَّعَاسُ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْيَفَاقِ،
 وَالنَّعَاسُ فِي الْقِتَالِ مِنَ الْإِيمَانِ، إِذْ: (يُعْشِيكُمْ النَّعَاسَ أُمَّتَهُ مِنْهُ)
 [الأنفال: ١١]. وَتَامَ الصَّحَابَةُ فِي رَاحَةِ مُهَمَّةٍ قَبْلَ الْقِتَالِ، وَكَانَتْ دَقْنُ
 أَحَدِهِمْ تَسْقُطُ فِي صَدْرِهِ، وَأَلْقَى اللَّهُ التَّوَمَ عَلَى أَهْلِ الْكَهْفِ، لَمَّا
 خَرَجُوا قَلِقِينَ مِنْ أَجْلِ الْفِرَارِ بِدِينِهِمْ، فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ (الكهف: ١١).

وَهَكَذَا يَسْكُنُ اللَّهُ تَعَالَى قُلُوبَ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، الَّذِينَ يَفْلِقُونَ مِنْ أَجْلِ دِينِهِ، وَمِنْ أَجْلِ عِبَادَتِهِ.

وَالْقَلْقُ مُذْمُومٌ: وَهُوَ مَا يَكُونُ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، أَوْ مَبَالَغَةِ فِي الْخَوْفِ مِنَ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ كَالْمَالِ وَالْمَظْهَرِ وَالْمَكَانَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، أَوْ التَّعَلُّقِ الْمُفْرَطِ بِالْمَلَذَّاتِ. فَهَذَا الْقَلْقُ يُؤَدِّي إِلَى التَّوَثُّرِ النَّفْسِيِّ، وَيُضْعِفُ الْقَلْبَ وَالرُّوحَ، وَيُعَرِّضُ الْإِنْسَانَ لِلصِّيَاعِ فِي الْحَيَاةِ دُونَ قَائِدَةٍ. **وَالْقَلْقُ مُذْمُومٌ** هُوَ الَّذِي أَبْعَدَ أَهْلَ قُرَيْشٍ عَنِ الْإِيمَانِ هُوَ خَوْفُهُمُ الْمَوْهُومُ مِنْ مُسْتَقْبَلِ مَكَانَتِهِمْ: (وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمَ أَوْلَمَ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتِ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (القصص - ٥٧) لِعُمْرِكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادُ يَاهِلِهَا**** وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ.

❖ ثَانِيًا: عِلَاجُ الْقَلْقِ!!!

أَيُّهَا السَّادَةُ الْأَخْيَارُ: الْقَلْقُ دَاءٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّهُ دَاءٌ، لِأَنَّ مَا مِنْ دَاءٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ إِلَّا وَلَهُ دَوَاءٌ، إِلَّا الْمَوْتَ، وَفِي رَوَايَةٍ: إِلَّا الْهَرَمَ لِحَدِيثٍ: «تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ الْهَرَمِ.» وَعِلَاجُ الْقَلْقِ كَثِيرٌ وَعَدِيدٌ، وَمِنْهُ، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ وَلَا الْحَصْرِ: حُسْنُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْيَقِينُ بِأَنَّ الْمَرَّةَ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) [التوبة: ٥١]، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ((يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلِمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِي بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))؛ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَمِنْ عِلَاجِ الْقَلْقِ: الْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ بِالْقَوْلِ وَبِالْفِعْلِ، فَبِهَذَا الْإِحْسَانِ يَدْفَعُ اللَّهُ عَنِ الْمُحْسِنِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ، وَلِلْمُؤْمِنِ مِنْهُ أَكْمَلُ الْحِطِّ وَالنَّصِيبِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء: ١١٤].

وَمِنْ عِلَاجِ الْقَلْقِ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد - ٢٨) فَمَا دَامَ الْمُؤْمِنُ مُتَوَاصِلًا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى بِذِكْرِهِ، كَانَ آمِنًا مِنَ الْوَسَاوِسِ، مَمْلُوءًا قَلْبُهُ

بِأَنْوَارِ الْأَذْكَارِ، مُطْمَئِنًّا يَذْكُرُ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، بَعِيدًا عَنِ الْقَلْقِ، أَمَا إِذَا
 أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى قَائِمًا، وَلَا شَكَّ، سَيَكُونُ قَلْبُهُ مَرْتَعًا خِصْبًا
 لِلْقَلْقِ وَالْوَسَاوِسِ، وَتَتَنَكَّدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ حَيَاتُهُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمَنْ
 أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ..)، قَالَ مُعْرَضٌ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ
 سَهْلٌ عَلَى الشَّيْطَانِ الْوُلُوجَ إِلَى قَلْبِهِ، فَيَسِيْطِرُ عَلَيْهِ بِالْوَسَاوِسِ
 الْمُهْلِكَةِ وَالْأَفْكَارِ السَّيِّئَةِ، (وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضَ لَهُ
 شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) (الزخرف - ٣٦)، فَيَبْدَأُ الْمَوْسُوسُ اللَّعِينُ
 بِتَسْبِيْبِ الْقَلْقِ فِي زُوعِ الْإِنْسَانِ، فَإِنْ كَانَ قَلْبُهُ مِنْ تَأَثْرِ الْاِقْتِصَادِ،
 فَيَلِجُ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ مِنْ هَذَا الْبَابِ مَخَوِّقًا لَهُ مِنَ الْفَقْرِ ثُمَّ آمِرًا لَهُ
 بِالْوُقُوعِ فِي الْمَخَالَفَاتِ إِمَّا يَدْعُوِي التَّخْفِيفِ عَنِ النَّفْسِ مِنَ الْقَلْقِ
 وَالْمَخَافِ، وَذَلِكَ بِالْاِنْغِمَاسِ فِي الْفَوَاحِشِ بِشَتَّى أَنْوَاعِهَا، وَإِمَّا
 بِالْوُقُوعِ فِي الْمَخَالَفَاتِ الْمَالِيَّةِ الْمُحَرَّمَةِ مِنْ سَرَقَةٍ أَوْ اِخْتِيَالٍ أَوْ غِشٍّ؛
 لِجِمَاطِيَّةِ مُسْتَوَاهُ الْاِقْتِصَادِيِّ مِمَّا عَسَاهُ أَنْ يَحْدُثَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ،
 وَذَلِكَ كُلُّهُ مَا نَفَهُمُهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ
 وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ..) (البقرة - ٢٦٨)، ذَلِكَ حَالُ الشَّيْطَانِ يَدْعُو دَائِمًا
 إِلَى التَّشَاؤْمِ، فَيَعِدُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُ بِالْوُقُوعِ فِي الْفَوَاحِشِ وَالْمَخَالَفَاتِ،
 وَأَمَّا اللَّهُ الْخَالِقُ قَائِمًا يَدْعُوكُمْ إِلَى التَّقَاوُلِ فَيَقُولُ: (.. وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ
 مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة - ٢٦٨). فَإِنْ أَصِيبَ
 بِمَرَضٍ حَاطِرًا، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْأَجَالَ بِيَدِ اللَّهِ، وَأَنَّ وَفَتْ مَوْتِ ابْنِ آدَمَ
 مُحْسُومٌ لَا يُؤَخَّرُ، (إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)
 ، فَلَا يُشْغَلُ نَفْسُهُ بِالْمَوْتِ، قَالَ آجَالُ مَضْرُوبَةٍ، فَيَمُوتُ الْمَرِيضُ
 وَالصَّحِيحُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَلِنَعْمَلْ بِوَصِيَّةِ اللَّهِ لَنَا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، فَلْتَسْتَعِذْ
 لِلْمَوْتِ بِالثَّبَاتِ عَلَى الْإِسْلَامِ.

وَمِنْ عِلَاجِ الْقَلْقِ: الْاِلْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَاسْتِخْضَارُ
 مَعِيَّتِهِ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ، وَالتَّعَلُّقُ بِهِ وَدَعَاؤُهُ طَرِيقٌ تَفْرِيجُ الْهُمُومِ،
 وَسَبِيلُ تَفْرِيجِ الْكُرُوبِ، وَوَسِيلَةُ اِبْعَادِ الْقَلْقِ؛ قَالَ تَعَالَى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ
 عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)
 [الطَّلَاق: ٣]، **وَمِنْ عِلَاجِ الْقَلْقِ وَالتَّوَكُّلِ** وَالْاِضْطِرَابِ وَالْهَلَعِ، عِبَادَةُ اللَّهِ،
 قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دَلَالَةٌ صَرِيحَةٌ أَنَّ فِيهِ شِفَاءً
 لِمَا فِي الصُّدُورِ، قَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ
 مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) [يُونُس: ١٠٤]

[٥٧]، وَيَقُولُ -جَلَّ فِي عُلُوهِ-: (وُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) [الإسراء: ٨٢]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً) [فُصِّلَتْ: ٤٤].

فَمِنْ أَنْجَعِ الْعِلَاجِ لِلْقَلْقِ الصَّلَاةُ، فَالصَّلَاةُ عِلَاجٌ لِجَمِيعِ الْأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ، فَإِذَا شَعَرْتَ بِضَيْقٍ تَوْضَأًا وَصَلَّيْتَ رَكَعَتَيْنِ وَسَيَّرُوهُ عَنكَ مَا تَجِدُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَقَدْ كَانَ نَبِيًّا وَقُدُوتَنَا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ وَأَغَمَهُ شَيْءٌ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ، وَكَانَ يَقُولُ: "أَرْحَمَنَا بِهَا يَا بِلَالُ"، وَيَتَبَغَّى أَنْ تُصَلِّيَ أَنْتَ حَاضِرُ الْقَلْبِ، مُسْتَشْعِرًا لِعَظَمَةِ مَنْ تُتَاجَبُ بِهِ وَتُنَادِيهِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) [النمل: ٦٢]، وَتَفَكَّرْ وَتَدَبَّرْ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَفَرُّوْهَا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الحشر: ٢١]. **وَمِنْ عِلَاجِ الْقَلْقِ:** الْإِكْتِنَارُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ عَنِ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاحِفَةُ، تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ»، قُلْتُ: الرَّبْعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ»، قُلْتُ: الثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: «إِذَا؛ تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»؛ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَأَحْمَدُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ.

وَإِذَا أَتَتْكَ جُيُوشُ الْهَمِّ غَازِيَةً ***** فَبِالصَّلَاةِ عَلَى الْمُخْتَارِ تَنْهَزُمْ أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَكَفَى، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْبَصَائِرِ وَالنُّهَى... أَمَّا بَعْدُ

❖ **ثَالِثًا وَأَخِيرًا: دَعِ الْقَلْقَ وَلِيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ!!**

أَيُّهَا السَّادَةُ الْأَخْيَارُ: وَدَعِ قَلْقَكَ وَاطْمَئِنَّ، وَلَا تُفْسِدِ سَعَادَتَكَ بِالْقَلْقِ، وَلَا عَقْلَكَ بِالنَّشَاؤِمِ، وَتَذَكَّرْ أَنَّ الْمُسْلِمَ مُؤْمِنٌ بِأَقْدَارِ اللَّهِ تَعَالَى، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ؛ قَالَ تَعَالَى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [التغابن: ٨]

١١]. سئِلَ عِلْمَهُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيُسَلِّمُ لِدَلِيلِكَ وَيَرْضَى؛ قَالَ: عِبَادَةُ بِنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"، يَا بُنَيَّ، إِيَّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي" عِبَادَةَ اللَّهِ، رَبُّكُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُبْتَلَى عِبَادَهُ بِالشَّيْطَانِ وَالرَّخَاءِ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، يَنْظُرُ مَاذَا يَفْعَلُونَ؟ وَكَيْفَ يَعْملُونَ؟ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُقَلِّبُ الْأَحْوَالَ عَلَى عِبَادِهِ: (كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [الرَّحْمَنُ: ٢٩] عَزَّ وَجَلَّ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَى الْعَبْدِ إِذَا صَارَ فِي حَالِ الْإِضْطِرَابِ، وَالْأَمْرِ الْمُرِيجِ أَنْ يَفْرَغَ إِلَى رَبِّهِ: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ) [الإِسْرَاءُ: ٦٧]، وَهَكَذَا فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ الْإِنْسَانِ، وَالْإِنْسَانُ يَطْغَى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَى) [العَلَقُ: ٦-٧]؛ فَإِذَا اغْتَتَى لَمْ يَلْجَأْ إِلَى اللَّهِ: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) [فُصِّلَتْ: ٥١]. وَثِقُ أَنْ الْمِحْنَ تَتَحَوَّلُ إِلَى نِعْمٍ وَمَتَحْ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [البَقَرَةُ: ١٥٥، ١٥٧]، فَإِذَا قُلْتَ ذَلِكَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَقُلْتَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ أَوْجِرْني فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لي خَيْرًا مِنْهَا، أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ خَيْرًا مِنْهَا وَجَبَرَ مُصِيبَتَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَكُنْ مَعَ اللَّهِ يَكُنْ مَعَكَ، وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِهِ، وَتَذَكَّرْ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَأَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى، وَثِقُ فَلَا تَبْتِئِسْ وَلَا تَحْزَنْ، وَلَا تَخَفْ وَلَا تَفْلِقْ؛ فَمَدِيرُ الْكُونِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ سُبْحَانَهُ.

سَهَرَتْ أَعْيُنٌ وَنَامَتْ عُيُونٌ ***** فِي شُؤُونٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ
 إِنَّ رَبَّنَا كَفَاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَانَ ***** سَيَكْفِيكَ فِي عَدِي مَا يَكُونُ
 اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ،
 وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. رَبَّنَا
 آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.